٤٥ - من منشورات المجلس العلمي

المحيط البرهاني

لمسائل المبسوط والجامعين والسير والزيادات والنوادر والفتاوى والواقعات مدللة بدلائل المتقدمين رحمهم الله

تأليف

الإمام برهان الدين أبي المعالي محمود بن صدر الشريعة ابن مازه البخاري

رحمه الله تعالى ٥٥١ هـ / ٦١٦ هـ

اعتنى بإخراجه وتصحيحه

نعيم أشرف نور أحمد

المجلد الأول

إدارة القرآن — المجلس العلمي

المحيط البرهاني

أول طبعة كاملة فى العالم الإسلامى

سنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

جميع حقوق الطبع محفوظة لإدارة القرآن والعلوم الإسلامية علمًا بأن هذه النسخة مسجلة لدى الجهات القانونية لا يجوز إعادة طبع هذه النسخة بأية صورة أو وسيلة إلكترونية كانت أو التسجيل أو خلافه بدون إذن كتابى مسبق من الناشر

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

* ٤٣٧ دى كاردن إيست لسبيله كراتشى ٧٤٥٥٠ باكستان

الهاتف: ٧٢١٦٣٨٨ فاكس: ٧٢٢٣٦٨٨-٠٠٩٢٢١

* اردو بازار، ايم اے جناح روڈ كراتشى تلفون: ٢٦٢٩١٥٧

* H-8/1إستريت 3 مقابل الشفاء إنترنيشنل هاسپتل، إسلام آباد

المجلس العالمي

P. O. Box: 1, Johannesburg 2000, South Africa.
E-mail: wii@global.co.za

At Post Simlak
Dist. Navsari
Gujrat 396415,
India.

Al-Madina Garden
Jamshed Road # 2
Karachi 74800,
Pakistan.

طبع في مؤسسة نزيه كركي ــ بيروت ــ لبنان

الموزع بالمملكة مكتبة الرشد الرياض، السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

تحقُّق الأُمنية

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيِّد المرسلين سيِّدنا محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فما أسعد هذه اللحظة، وما أبهج هذا الأوان المبارك؛ إذ نتحف العالم الإسلاميّ لأوَّل مرّة بكتاب «المحيط البرهاني» أضخم موسوعة في الفقه الإسلامي، بعد ما مضى على تأليفه ألف سنة تقريبًا، وكاد أن يندرس من الوجود، وما ذلك إلاَّ بتوفيق من الله سبحانه وتعالى وفضل منه.

فللّه الحمد والشكر والمنّة، بأن وفقنا لإنجاز هذا المشروع، وإنَّا لنرجو أن يقع هذا العلق النّفيس، الدُّرّة في تاج رئيس؛ لدى أهل العلم وأولي المعرفة موقع القبول، كفاء ما لاقينا من العناء في إخراجه وتحقيقه وتحسين محيّاه الجميل.

ولا شكَّ أنَّ فضل إخراج هذا الكتاب العظيم يرجع إلى والدنا المفضال عليه رحمة الله المتعال الشيخ نور أحمد روَّح الله تعالى روحه ونوَّر ضريحه؛ مؤسِّس «إدارة القرآن والعلوم الإسلاميّة» بكراتشي؛ حيث إن إخراج هذا الكتاب ما برح أُمنية تراوده إلى أن بدأ بهذا المشروع في آخر حياته، ثم تركه لنا من تلاده، فجزاه الله خير ما يجزي به عباده الصالحين، وأثابه عنا أفضل ثواب المؤمنين العاملين، وجعل هذا العمل الجليل في ذخيرة حسناتنا وحسناته، آمين.

وبما أن «إدارة القرآن والعلوم الإسلاميّة» قد حَرَصت منذ أسَّسها والدنا الفاضل الماجد والعالم المجاهد الشيخ نور أحمد رحمه الله تعالى، على أن تتحف العلماء والمكتبات الإسلاميّة، بكل ما هو مفيد ونافع من الكتب النادرة، والمخطوطات المحجوبة الفاخرة، فنحن لا نفتأ في جهد دائم للوصول إلى هذا الهدف؛ بحمد الله وحسن توفيقه.

وقد وفّقنا في ذلك الصدد فأصدرنا «شرح الطيبي على مشكاة المصابيح» في

اثني عشر مجلَّداً، و«إعلاء السنن» في ثمانية عشر مجلَّداً، و«الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج» في مجلَّدين. وكل هذه الكتب طُبعت لأول مرة في العالم الإسلامي.

كما نشرنا «شرح الحموي على الأشباه والنظائر» لابن نجيم في ثلاثة مجلَّدات، و«شرح اللكنوي على الهداية» للمرغيناني في ثمانية مجلَّدات، ومجموعة «رسائل اللكنوي» في ستة مجلَّدات، و«أحكام القرآن» للتهانوي في خمسة مجلَّدات، وغيرها من الكتب الكثيرة.

هذا؛ وبينما نحن في صدد طباعة هذا الكتاب المستطاب العجاب، بمدينة بيروت المحروسة، فوجئنا بوجود نسخة مطبوعة من «المحيط البرهاني» لدى إحدى دور النشر ببيروت، وأسِفْنا أشدَّ الأسف لكون الطبعة المذكورة، ناقصة مبتورة، يصل النقص فيها إلى آلاف الصفحات!!؛ فضلاً عن الأخطاء الطباعية الكثيرة، والتصحيفات العديدة الخطيرة، مع تنقيطهم لما لم يفهموا... وإعجامهم لما لم يعلموا؛ الأمر الذي حتَّم علينا الإنباه لذلك، والتنبيه على ما هنالك، نصيحةً في الدين، وتلافيًا للغرور المبين.

والله تعالى نسأل أن يوفقنا لخدمة الدين وعلومه وأهله، وخاصّة لإكمال مشروعاتنا الجديدة ومنها: إخراج «التفسير المظهري»، و«كتاب التجنيس» للمرغيناني، و«صنوان القضاء وعنوان الإفتاء» للأشفورقاني.

كما نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملَنا هذا خالصًا لوجهه الكريم، مقبولاً عنده، وأن ينفع به الطلاب وأهل العلم وأن يجعله لنا صدقة جارية، وأن يحفظ علينا وعلى أهلينا وذرِّياتنا إسلامَنا وإيمانَنا؛ حتى نلقاه وهو راضٍ عنا، وأن يرحمنا ويرحم والدينا ومشايخنا والمسلمين والمسلمات أجمعين، إنه أرحم الراحمين.

الناشرون

أبناء الشيخ نور أحمد رحمه الله تعالى

غرة جمادي الأولى سنة ١٤٢٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم
فضيلة القاضي الفقيه
العلامة الشيخ محمد تقي العثماني حفظه الله تعالى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن عصرنا هذا قد تميّز -على الصعيد العلميّ والدراسيّ- بإحياء كتب التراث وتحقيقها، وإخراجها في حلّة رشيقة من الطباعة الحديثة الراقية، مما تقرّ به عين كل طالب ودارس، فكم من كتب كانت خبيئة في زوايا المكتبات لم يحظ برؤيتها خلال عشرات السنين إلا قلّة قليلة من الرجال، خرجت اليوم إلى حيّز الطبع والنشر بما يسّر لمحبّي العلم اقتناءها والاستفادة منها، وقد أكبّت جماعة كبيرة من العلماء والدارسين على تحقيق النسخ الخطّية العتيقة من مثل هذه الكتب، وأقبلت دور النشر على إخراجها إخراجًا جميلا، وما زال عدد هذه الكتب يتزايد كلّ يوم ويثرى المكتبات الشخصيّة والعامّة، فالحمد لله عزّ وجل على ذلك.

ولكنّ من المؤسف أن محقّقي كتب التراث تقاصرت هممهم عن إخراج كتب الفقه العتيقة بهذا الأسلوب الجديد، ولم تتجاوز دور النشر في هذا المجال من أن تصوّر الكتب المطبوعة القديمة، وتنشرها كما هي، بدون تحقيق ولا تصفيف أو ترقيم، ولا فهرسة تُعين الدارس في استخراج المسائل المطلوبة، وأما تحقيق النسخ الخطيّة من الكتب التي لم تطبع بعد، فلم يجترئ على ذلك إلا عدد قليل جدّا من المحقّقين، ونتيجة ذلك أن دراسة الفقه لا تزال اليوم تعاني من الصعوبات ما كانت تعانيه قبل عصر التحقيق والطبع الحديث، ولا يستطيع دارس للفقه الإسلامي أن يتمتّع بوسائل جديدة توافرت

اليوم للدارسين فى الموضوعات الأخرى، ولا أن يستفيد بكتب التراث التى لم تخرج إلى حيّز الطباعة حتى الآن.

ويبدو أن لقلّة العناية نحو الكتب الفقهية سببين رئيسيّين:

الأول: أنّ إقبال النّاس على كتب الفقه أقلّ من إقبالهم على كتب الموضوعات الأخرى، مثل الحديث، والتاريخ، والأدب وغيره، وعدد المحقّقين فى هذا الموضوع قليل بالنسبة إلى هذه الموضوعات.

والثانى: أنّ كتب التراث فى الفقه كتب ضخمة غالبًا، ونسخها فى مكتبات العالم قليلة، وإن تحقيقها يتطلّب جهدًا كبيرًا وعناء بالغًا ووقتًا طويلا، وأن فهرستها أصعب، لكثرة جزئيّاتها، وانشعاب فروعها، وتشتّت مسائلها، فلا يجترئ على ذلك إلا ذوو الهمّة العالية والكفاءة العلميّة الفائقة، وأصحاب الذوق الرفيع والتفانى فى سبيل العلم والدين.

وكان كتاب "المحيط البرهانى" فى فقه الحنفيّة، من الكتب التى غابت نسخها -حتى الخطّية- من مُتناوَل أهل العلم منذ قرون، وكان الحصول عليه من أعزّ أمنيّاتهم فى كلّ عصر ومصر، فإنّ هذا الكتاب الزاخر بالعلم والفقه من أكبر الكتب الموسوعيّة المؤلفة فى مذهب الإمام أبى حنيفة رحمه الله تعالى، وجدير بأن يسمّى "المحيط" لإحاطته لجميع المسائل التى رويت عن أصحاب المذهب، سواء أكانت من ظاهر الرواية، أو من النوادر، وللتخريجات والتفريعات التى صدرت ممن بعدهم، وللفتاوى والنوازل التى أفتى بها العلماء إلى عصر المؤلف رحمه الله تعالى.

وكم كنت أتمنّى أن يُطبع هذا الكتاب، ويُنشر بوسائل الطبع الحديثة، ولكن كلّما كنت أنظر إلى كساد سوق الفقه، وإلى قلّة رغبة المحقّقين فى كتبه لأسباب سابقة الذكر، وإلى صعوبة هذا العمل الجسيم، يفشل أملى، ويتيه رجائى فى خِضمّ المشاكل التى يخاف أن تحول دون تحقيقه.

وكان زوج أختى المرحوم، مولانا المجاهد الشيخ نور أحمد -رحمه الله تعالى- من الرجال الذين عُرفوا فى حياتهم بالهمّة العالية التى ترتاح باقتحام المشاريع الصعبة، فكانت حياته كلّها عبارة عن العمل الدؤوب المتواصل فى هدف من الأهداف الدينية

والدعوية، ووفقه الله سبحانه فى آخر حياته للقيام بإخراج الكتب الضخمة الفخمة من تراثنا الثرىّ، وكان هذا العمل من أصعب الأعمال فى "باكستان" لقلّة من يساعده فيه، ولعوز الوسائل اللازمة له، وفقدان الآلات الراقية لطباعة كتاب عربىّ، ولكن الله تعالى كأنّما خلقه لتذليل الصعاب، كلّما سار إلى هدف، سار بمجامع قوّته ومواهبه، وبنشاط لا يفتُر ولا يتوانى.

فجعل من أهدافه السّامية أن يخرج هذا الكتاب الموسوعىّ الكبير "المحيط البرهانىّ" فسلك المسالك الوعرة للحصول على نسخ كاملة منه، وتصويرها وإعدادها للتحقيق، وفوّض تحقيقها إلى ابنه الفاضل -الذى هو خير خلف لخير سلف- ابن أختى العزيز الأستاذ الشيخ نعيم أشرف -حفظه الله تعالى فى عافية سابغة ورفاهية بالغة- واستنهض همّته واستثار نشاطه لهذا العمل الجسيم الذى ربّما يقشعرّ له إنسان فى عمره وتجربته.

ومن أعظم ما تقرّبه العيون وتثلج به الصدور أن هذا الشابّ الفاضل قدّر الله تعالى على يديه تحقيق هذه الأمنيّة الغالية، فاشتغل بهذا العمل المرموق طوال سنين بعزيمة واستقامة قلّما تُعهدان من نُظراءه، فجعل هذا العمل سمير عينيه، ونديم فكره -بالرغم ما يعانيه من كثرة الأعباء، وتشعّب المسؤوليات، خاصة بعد وفاة والده رحمه الله تعالى- حتّى تمكّن بفضل الله سبحانه وتعالى من انجازه بأحسن وجه مستطاع بالنظر إلى الظروف الميسّرة، إنّه جمع خمس نسخ للكتاب من بلاد مختلفة، وبذل غاية الاهتمام فى نَسخِها والمقارنة بينها، وتحقيق الكتاب وتصفيفه، وترقيم مسائله، ووضع فهارسه، وتخريج آياته وأحاديثه، ثمّ توّج هذا الكتاب بمقدمة ضافية مفيدة تحدّث فيها عن المذهب الحنفىّ وتطوّره فى بسط وتفصيل، وعن حياة المؤلف ومآثره، ومكانة كتابه "المحيط" بين كتب المذهب، وحقّق الفروق بينه وبين "المحيط" لرضىّ الدين السرخسى، ثمّ أعقبها بترجمة الأعلام والمصادر الواردة فى "المحيط البرهانىّ" بما جعل هذه المقدّمة كتابًا مستقلا فى الموضوع يزداد به القارئ بصيرة فى المذهب الحنفىّ.

ولا أريد أن أسهب فى الكلام عن "المحيط البرهانىّ" فإنّه قد أغنانى عن ذلك محقّق الكتاب، ولكنّى أريد أن أنوّه بأنّ ما ذكره ابن عابدين رحمه الله فى "شرح عقود

رسم المفتى" من كون "المحيط البرهانى" من الكتب غير الموثوق بها، ومما لا يجوز الإفتاء منها، إنما كان مبنيّا على كونه مفقودًا، وكون نسخه نادرة، وليس على أساس كونه لايوثق بمؤلفه، أو لكونه جامعًا للرطب واليابس، قد نبّه على ذلك الإمام عبد الحى اللكنوى رحمه الله تعالى فى "النافع الكبير" مقدمة "الجامع الصغير" فلا ينبغى أن يغترّ الطالب بما اشتهر عن العلامة ابن عابدين وغيره من كونه لا يوثق به.

والحقّ أن هذا الكتاب من المصادر الموثوقة فى الفقه الحنفىّ، جمع فيه المؤلف مسائل الأصول والنوادر والفتاوى بترتيب جيّد، وحيثُ قد وجدت عدّة نسخ له من بلاد مختلفة ونسخها المحقّق بعد المقارنة بينها، فلا مانع اليوم من الاستفادة منه والاعتماد عليه فى الفتوى والدراسات بمراعاة القواعد المعروفة.

وأرجو أنّ نشر هذا الكتاب سوف يسرّ الباحثين، ويفتح لهم آفاقًا جديدة، فإنّه مشتمل على مسائل وفوائد قد لا توجد فى الكتب الأخرى، وإنّه يساعدهم فى التمييز فيما بين ما هو منقول عن أصحاب المذهب، وبين ما خرّجه من بعدهم.

وإنّ طلاب العلم مدينون بالفضل لمحقّق الكتاب وناشره، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يتقبّل جهده المشكور، ويجعله ثقلا كبيرا فى كفّة حسناته، ويجزيه خيرًا، ويجزل له أجرًا، ويبارك فى عمره وعلمه، ويوفقه لأمثال هذه الأعمال القيّمة، وينفع به وبخدماته المسلمين، وصلّى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ولله الحمد أوّلا وآخرًا.

٢٩/ ربيع الأول/ ١٤٢٤هـ

محمد تقى العثمانى
دارالعلوم كراتشى١٤
باكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

العلامة المحدث المحقق الدكتور بشار عوّاد معروف

حفظه الله تعالى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد اطلعت على الطبعة التى يعدها الأخ الكريم الشيخ نعيم أشرف نور أحمد لكتاب الحنفية الكبير "المحيط البرهانى" الذى جمع فيه مؤلفه مسائل "المبسوط" و "الجامعين" و "السير"، وزاد عليها من المسائل النوادر والفتاوى والنوازل والواقعات مدللة بدلائل المتقدمين، ففرحت لهذا العمل العلمى الجليل الذى تهتز له النفوس وتفرح القلوب، بعد أن كاد اليأس يصيبنى من إخراج هذه الموسوعة الفقهية العظيمة إلى النور؛ لتعم فوائدها وترتجى عوائدها، حتى هيأ الله لها شابًا ألمعيًا دؤوبًا على التحقيق والتدقيق، فيأخذ نفسه هذا المأخذ، ويتصدى لهذا العمل العلمى الجليل، الذى ربما يُعجِز المؤسسات فضلا عن الأفراد.

ومما يُعلى قيمة هذا العمل أن يُحقق ويطبع فى غير البلاد العربية، ليثبت مرة أخرى على أن هذه اللغة التى ارتضاها الله تعالى لغة لدينه، هى لغة الإسلام وشعاره الذى يفزغ منه أعداء الله في كل مكان، لأنها هي الموحِّد لهذا العالم الإسلامي لتأثيرها البالغ فى العقل والخلق والدين، لأنها تزيد العقل والخلق وتمتن الدين، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وقد زال استعجابى لصنيع هذا الشاب الذى يتفجر بحب العربية والإسلام حينما

علمت شيئًا عن أصله وفصله، فوالده العلامة الجليل الشيخ نور أحمد رحمه الله تعالى حامل لواء نشر الكتب العربية فى باكستان ومؤسس إدارة القرآن والعلوم الإسلامية التى نشرت نفائس الكتب العربية مما عجز عن نشره العرب أنفسهم، وجده لأمه الإمام العلامة محمد شفيع الديوبندى مفتى باكستان، أول من نادى الأمة الباكستانية عند استقلالها بضرورة اتخاذ العربية لغة لها، فنشر مقالته الشهيرة: "النفحات في فضل العربية على اللغات" الذي تشرفت فنشرته مع تعليقات عليه قبل قرابة الخمسة عشر عاماً ببغداد، وأشرت إليه ونوّهت به في بعض كتبي لاسيما في كتابي "الإسلام ومفهوم القيادة العربية"، ثم خاله صديقنا العلامة فقيه باكستان غير مدافع محمد تقي العثماني حفظه الله تعالى. وهؤلاء كلهم بذلوا مهجهم ونفوسهم وأموالهم في سبيل العربية والإسلام ونشرهما والدفاع عن بيضة الإسلام في كل محفل وناد، فلا يُسْتَعجب بعد هذا من صنيع ولدنا العزيز الشيخ نعيم أشرف بعد أن عرفنا أرومته وصنيعها.

وقد ركب الشيخ جُدّة من الأمر فكتب دراسة وافية قدّم بها لهذا الكتاب النفيس لوأفردت لجاءت كتاباً نافعاً يستحق به شهادة عالمية، تناول فيها تاريخ الفقه الحنفي ومراحل تطوره العلمي، ثم كتب دراسة وافية عن المؤلف، فعرّف به وبأسرته ومشايخه ومنزلته العلمية، ثم تطرق إلى آثاره ومصنفاته. وتناول بعد ذلك في فصل مستقل التعريف بالكتاب موضوع البحث، فذكر شيئاً عن سبب تأليفه ووجه تسميته، ومنزلته بين الكتب الفقهية التي من بابته، ثم أبان عن منهجه وموارده، وختم الدراسة النفيسة ببيان النهج الذي انتهجه في تحقيق هذا الكتاب من وصف للنسخ الخطية والطرائق التي سار عليها في ضبط نصه والتعليق عليه.

والعناية بضبط النص هي أُسّ التحقيق، لأن غاية أي تحقيق هو إخراج نص صحيح كما كتبه مؤلفه جهد المستطاع، لكننا من أسف وجدنا بعض من يتعانى هذا العلم يكثر من التعليقات التي لامبرر ولامسوغ لها، فكأنه يريد تَوْبَلة الكتاب بها، تاركاً النص من غير ضبط وتفصيل، ومخلفًا ما هو بالتعليق خليق، فصرنا نقف على نصوص محرفة تمتلئ حواشيها بالتعليقات!.

وقد هيّأ الله سبحانه سُبُل نجاح هذا العمل العلمي الجليل ووفّره على أحسن موفِر

حينما هيّأ له من يُعني بإخراجه بهيئة علمية بارعة وصنعة جميلة نافعة على أحدث أجهزة الطباعة العصرية التي تولى أمرها ووضع تنظيمها لهذا الكتاب الأخ الفاضل العالم الشيخ فهيم أشرف حفظه الله، فزاد الكتاب بصنيعه هذا ضبطاً ودقّة وجمالاً ورونقاً.

فليسعد الشيخ العلامة نور أحمد طيّب الله ثراه بولديه الذين صارا خير سلف لخير خلف، وما خيّبا ظن أبيهما فيهما، بل كانا كما أمُل وزادا، زادهما الله من فضله.

إن إخراج هذا النص صحيحًا متقنًا مفصلا مرقمًا مفهرسًا هو أقصى ما يتمناه الباحثون والمعنيون بالدراسات الفقهية عامة وبدراسة فقه الإمام الأعظم خاصةً. وحُق لمن يتقن عملَه هذا الإتقان أن ينوَّه بفضله، فالتنويه بالفضل هو أقل ما يكافأ به على إحسان العمل وأدعَى له فى تجديد الأمل بإعادة الإفادة، والاستمرار على هذا النهج الحميد من العناية فى طبع تراث هذه الأمة التى اختار الله لها العربية لغة وشعارًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

أفقر العباد بشار بن عواد

بن معروف البغدادى الأعظمى

الدكتور حامدًا ومصليًا

كراجى فى ذى القعدة سنة١٤٢٢هـ

شباط / فبراير٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين نبيّنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وعلى وآله الطيبين الطاهرين .

وبعد : فالغرض من هذه المقدمة تقديم المعلومات الوافية حول المحيط البرهانى من تعريفه ، وأهميته ، ومكانته بين الكتب الفقهية ، ومنهجه ، ومصادره ، والأعلام الذين استفاد منهم صاحب هذا الكتاب ، وتقديم المعلومات عن مؤلف المحيط ، وأسرته وشيوخه ، ومكانته ، وذكر الكتب المؤلفة باسم المحيط ، والاشتباه الواقع فى مصداق المحيط وبيان سبب انشغالنا بهذا الكتاب ، ومنهجنا فى التحقيق ووصف النسخ الخطية وغيرها من المباحث المهمة .

ولكن بما أن هذا الكتاب الذى بين أيديكم من أمهات كتب الفقه الحنفى ، كنت أود أن أقدم بإيجاز نبذة من تاريخ الفقه الحنفى ، نشأته ، وانتشاره ، وتطوره وتوسعه ، واستقراره فى أكثر دول العالم الإسلامى ، كما كنت أحب أن أشير إلى طبقات فقهاء الحنفية ، وطبقات كتبهم ، و مسائلهم .

ولما اشتغلت بجمع المواد لتلك الموضوعات ، اطلعت على بحث قيّم نفيس باسم "المذهب عند الحنفية" للشيخ محمد إبراهيم أحمد على حفظه الله تعالى الأستاذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وجزاه الله خيراً بأفضل ما يجزى عباده ، وجدت هذا البحث يوفى غرضى بأحسن طريق ، وأفضل أسلوب ، فلخصت مباحثه فى الفصل الأول . علمًا أننى بنيت المقدمة على أربعة فصول وخاتمة :

١- الفصل الأول فى تاريخ الفقه الحنفى ومراحل تطوره العلمى .

٢- الفصل الثانى فى الكلام على صاحب المحيط بذكر ترجمته وبعض أعضاء أسرته البارزين ، ومشايخه ومكانته العلمية ، وآثاره ومصنفاته .

٣-الفصل الثالث فى الكلام على المحيط البرهانى والتعريف به ، وسبب تأليفه ، ووجه

تسميته، وذكر المصنفات باسم المحيط، وبيان منشأ الأوهام فى مصداق المحيط، ودرجته العلمية بين الكتب الفقهية ومنهج مؤلفه فيه .

٤- الفصل الرابع فى ذكر المصادروالأعلام الذين استفاد منهم صاحب المحيط فى كتابه .

٥- الخاتمة فى بيان سبب انشغالنا بهذا الكتاب، ووصف النسخ ومنهجنا فى التحقيق .

والله الموفق والمعين وبه نستعين .

نعيم أشرف نورأحمد

الفصل الأول فى تاريخ الفقه الحنفى
نشأته، وتطوره وتوسعه، واستقراره

لا جدال فى أن المذهب الحنفى هو أوسع المدارس الفقهية الإسلامية انتشارًا، وأكثرها اتّباعًا من المسلمين؛ إذ يبلغ عدد أتباعه اليوم أكثر من ثلث مسلمى العالم أى قرابة مائتى مليون[١] ينتشرون فى أنحاء العالم.

والمذهب الحنفى هو أول مذهب فقهى إسلامى من المذاهب المشهورة، وضع أسسه الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، توفى عام ١٥٠هـ[٢]، وانتشر هذا المذهب فى العالم الإسلامى، وظهرت بعده مدارس أخرى نافسته فى الانتشار حتى إذا كان عهد الخليفة العباسى هارون الرشيد ولّى أبا يوسف[٣] -تلميذ أبى حنيفة الأول وأحد الصاحبين- القضاء، فكان ذلك بداية العصر الذهبى للمذهب الحنفى، حيث أصبح من سلطات أبى يوسف تولية القضاء، واختيارهم لكل أقطار الخلافة العباسية الواسعة، فكان لا يولى إلا أصحابه المنتسبين إلى مذهبه[٤]، والدولة العباسية وإن كان مذهبهم مذهب جدهم، أكثر قضاتها ومشايخ أسلافها حنفية، يظهر ذلك لمن تصفح كتب التاريخ، وكانت مدة حكمهم خمسمائة سنة تقريبًا، وأما الملوك السلجوقيّون وبعدهم الخوارزميون فكلهم حنفيّون، وقضاة ممالكهم حنفيّون[٥]، ولما ولى الملك السلطان نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى -وقد كان حنفيًا- نشر مذهبه ببلاد الشام، ومنه كثرت الحنفية بمصر[٦].

وخضع المذهب الحنفى لمد وجزر النفوذ السياسى وتقلباته، ولكنه احتفظ بقوته وسلطانه

---

(١) صبحى المحمصانى: الأوضاع التشريعية فى الدول العربية ص١٢٠.

(٢) انظر حسين بن على الصيمرى: أخبار أبى حنيفة وأصحابه ص٨٨، محمد بن أحمد الذهبى: مناقب الإمام أبى حنيفة وصاحبيه ص٣٠، أحمد بن على الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد جـ١٣ ص٤٢٢.

(٣) أبو يوسف القاضى يعقوب بن إبراهيم أجل أصحاب أبى حنيفة حتى قيل: لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة ولا ابن أبى ليلى، ولكنه نشر علمهما، وبثّ قولهما، توفى سنة ١٨٢هـ.

(٤) أحمد تيمور: حدوث المذاهب الفقهية وانتشارها ص١٧.

(٥) ابن عابدين: رد المحتار على الدر المختار جـ١ ص٥٦-٥٧.

(٦) محمود بن محمد عرنوس: تاريخ القضاء فى الإسلام ص٥٨.

ونفوذه، حتى بلغ قمة عصوره الذهبية فى النفوذ السياسى حين أصدر السلطان سليم قراراً سلطانيّا -فرمانًا- يعلن فيه أن المذهب الحنفى هو مذهب الدولة الرسمى الإلزامى فى أمور القضاء والفتيا، وهكذا أصبح شيخ الإسلام، وجميع المفتين، والقضاة يفتون، ويحكمون وفاقًا لهذا المذهب، وذلك فى جميع أقطار المملكة العثمانية[1].

ولم يكن انتشار المذهب الحنفى بين الأفراد بأقلّ قوة من النفوذ السياسى الذى حظى به، فقد انتشر فى أنحاء الأرض: فى الهند وباكستان، وجمهوريات الاتحاد السوفيتى -بخارى وسمرقند- تركيا، مصر، الجزائر، العراق، سوريا، والجزيرة العربية، فلا تكاد تجد قطراً إسلاميّا إلا وتجد فيه الكثير من المسلمين المتبعين لهذا المذهب[2].

وفى خضم هذا النفوذ، وهذا الانتشار كان المذهب الحنفى من أكثر المذاهب الفقهية خصوبة فى تراثه الفقهى، وفى علمائه الذين تسنّموا أعلى درجات التقدير فى المحيطين الشعبى والسياسى، فقد حظى هذا المذهب بوفرة من التآليف الفقهية لم يحظ بها مذهب فقهى آخر، ونال من عناية العلماء والمؤلفين ما لم تنله مدرسة أخرى، فكانت الكتب المؤلفة فيه لا تكاد تعد أو تحصى، منها المعروف المتداول معتبراً معتمداً، أو غثّا هزيلا، ومنها المعروف اسمه، ولكن أتت عليه الكوارث التى اجتاحت العالم الإسلامى فى بغداد ودمشق وما وراء النهرين، فعفى رسمه وأصبح تاريخًا نسمع به ونقدره عن غيب، أو من ثنايا ما حملته إلينا فى طياتها المؤلفات الموجودة بين أيدينا، فى واقع هذا السيل من المؤلفات المختلفة قبولا ورفضًا، يقف الباحث حائراً فى تقديره وتصنيفه ليعرف ما يمكن اعتماده عليها من هذه الكتب وما لا يمكن.

ولما أن من جملة موضوعات هذا البحث: بيان ما اصطلح عليه علماء الحنفية من اعتمادهم قولا صحيحًا يمثل المذهب الحنفى، والكشف عن الكتب التى يعتمدها علماء الحنفية معبرة عن الرأى المعتمد، فإنه لا بد فى سبيل الوصول إلى هذا الهدف من استعراض الأدوار التى مر عليها هذا المذهب فى تطوره العلمى منذ نشأته وظهوره مما كان له أثر فى تطور مفهوم واصطلاح المذهب وتفسيره.

---

(١) الأوضاع التشريعية ص١٢٠.

(٢) انظر "حدوث المذاهب الفقهية" ص٦٠-٦٣، الأوضاع التشريعية ص١٢٠-١٢، المحمصانى: فلسفة التشريع الإسلامى ص٣٦.

مراحل التطور العلمى للمذهب

يقسم بعض مؤرخى المذهب الحنفى[١] علماءه إلى طبقات ثلاث :

١- **السلف**: ويعنون به الصدر الأول من علماء المذهب ابتداءً من الإمام أبى حنيفة وانتهاءً بمحمد بن الحسن[٢] ثانى الصاحبين .

٢- **الخلف**: ويندرج تحت هذا من أتى بعد محمد بن الحسن من علماء المذهب إلى شمس الأئمة الحلوانى[٣] .

٣- **المتأخرون**: وهم من أتى بعد شمس الأئمة الحلوانى إلى حافظ الدين البخارى[٤] .

ويرتبط هذا التقسيم ارتباطًا بتقويم آراء المذهب ، فطبقة السلف آراؤها أساس المذهب بدون جدال ، وعلى ضوء آراء هذه الطبقة انبعثت اجتهادات وتخريجات طبقة الخلف ، أما طبقة المتأخرين فإن التحديد المذكور لها يدخل تحتها بعض علماء المذهب المشهورين من أمثال : شمس الأئمة السرخسى صاحب "المبسوط" ، المتوفى سنة ٥٠٠هـ[٥] ، والمرغينانى صاحب

---

(١) محمد عبد الحى اللكنوى : الفوائد البهية فى تراجم الحنفية ص٢٤١ ، وانظر مناقشته لهذا الرأى فى مقدمة كتابه "عمدة الرعاية فى حل شرح الوقاية" ص١٥-١٦ .

(٢) الإمام محمد بن الحسن الشيبانى : تلميذ أبى حنيفة المقرب ، قال فيه الشافعى : "ما رأيتُ رجلا أعلمَ بالحرام والحلال والعلل والناسخ والمنسوخ من محمد بن الحسن" ، مات سنة ١٨٩هـ. (انظر ترجمته فى الصيمرى : أخبار أبى حنيفة وأصحابه ص١٢٠-١٣٠ ، الذهبى : مناقب الإمام أبى حنيفة وصاحبيه ص٥٠-٦٠ ، الكوثرى : بلوغ الأمانى فى سيرة محمد بن الحسن الشيبانى ، قاسم ابن قطلوبغا : تاج التراجم ص١٥٩ .

(٣) شمس الأئمة الحلوانى : عبد العزيز بن أحمد بن نصر بن صالح شمس الأئمة الحلوانى البخارى من تلاميذه السرخسى والبزدوى ، توفى سنة٤٤٨ ، وقيل : ٤٤٩ ، وقيل : ٤٥٦هـ. (انظر "الفوائد البهية" ص٩٥-٩٧ و "كشف الظنون" جـ٢ ص١٢٢٤)

(٤) حافظ الدين البخارى : محمد بن محمد بن نصر أبو الفضل حافظ الدين الكبير البخارى ، ولد سنة ٦١٥هـ ، كان شيخًا حافظًا ثقةً متقنًا محققًا مشتهرًا بالرواية وجودة السماع ، توفى سنة ٦٩٣هـ. (انظر "الفوائد البهية" ص١٩٩-٢٠٠)

(٥) شمس الأئمة السرخسى : محمد بن أحمد بن أبى سهل شمس الأئمة ، كان إمامًا علامة حجة متكلمًا مناظرًا أصوليًا مجتهدًا ، من أشهر مؤلفاته : المبسوط شرح فيه كتاب "الكافى" ، مات فى حدود التسعين وأربعمائة ، وقيل : فى حدود خمسمائة . (انظر "الفوائد" ص١٥٨-١٥٩ ، طاشكبرى زاده : مفتاح

"الهداية"، المتوفى سنة ٥٩٣هـ[١]، وعبد الله ابن محمود صاحب "المختار"، المتوفى سنة ٦٨٣هـ[٢]، وغيرهم ممن أضحت مؤلفاتهم عمدة من جاء بعدهم، وأضحى بعضها الناطق باسم المذهب والممثل لرأيه الراجح.

وهناك تقسيم آخر يعتمد التقويم العلمى لعلماء المذهب كأساس له دون النظر إلى واقع وجودهم التاريخى، وهذا التقسيم أوسع انتشارًا وأكثر قبولا، وواضعه ابن كمال باشا[٣] الفقيه الحنفى الشهير، وقسم فيه علماء المذهب إلى سبع طبقات:

١- طبقة المجتهدين فى الشرع كالأئمة الأربعة، ومن سلك مسلكهم فى تأسيس قواعد الأصول، واستنباط أحكام الفروع من الأدلة الأربعة، ويمثل هذه الطبقة الإمام أبو حنيفة.

٢- طبقة المجتهدين فى المذهب كأبى يوسف ومحمد وسائر أصحاب أبى حنيفة القادرين على استخراج الأحكام عن الأدلة المذكورة على مقتضى القواعد التى قررها أستاذهم

السعادة جـ٢ ص١٨٦)

(١) المرغينانى مؤلف "الهداية": على بن أبى بكر بن عبد الجليل الفرغانى المرغينانى، كان إمامًا حافظًا فقيهًا معتمدًا ضابطًا للفنون، وكتابه "الهداية" من أشهر كتب الحنفية، لم يزل مرجعًا للفضلاء ومنظرًا للفقهاء، وهو كتاب فاخر لم تكتحل عن الزمان بثانيه. (انظر "مفتاح السعادة" جـ١ ص٢٦٤، "الفوائد" ص١٤١-١٤٤)

(٢) عبد الله بن محمود بن مودود أبو الفضل مجد الدين، مؤلف "المختار" وشرحه "الاختيار"، وهما كتابان معتبران عند الفقهاء. (الفوائد ص١٠٦، وانظر أيضًا "مفتاح السعادة" جـ٢ ص٢٨١، وذكر أن وفاته كانت سنة ٥٩٩هـ.

(٣) ابن كمال باشا: أحمد بن سليمان بن كمال باشا، أنسى رحمه الله ذكر السلف بين الناس، وأحيا رباع العلم بعد الاندراس، وكان فى العلم جبلا راسخًا وطودًا شامخًا، توفى سنة ٩٤٠هـ. (انظر طاشكبرى زاده: الشقائق النعمانية ص٢٢٦-٢٢٨) وقال عنه ابن عابدين: كان بارعًا فى العلوم، وقلما أن يوجد فن إلا وله فيه مصنفات. (رد المحتار جـ١ ص٢٦بتصرف، وانظر أيضًا "الفوائد البهية" ص٢١-٢٢)
والتقسيم المذكور لطبقات علماء الحنفية أورده ابن كمال باشا فى كتابه على مسألة دخول ولد البنت فى الموقوف على أولاد الأولاد، وممن نقل التقسيم فى كتبه. (تقى الدين بن عبد القادر التميمى الدارى: الطبقات السنية فى تراجم الحنفية جـ١ ص٤٠-٤٢، ابن عابدين: رد المحتار جـ١ ص٧٧، شرح رسم المفتى ص١٢-١٣، اللكنوى: الرعاية جـ١ ص٨١٧، وقد ناقش هذا التقسيم ورده الكوثرى: حسن التقاضى ص٢٩-٣٢)
وقد ذكر الكوثرى فى ص١٠٢-١١٦ تعقيب المرجانى فى كتابه "ناظورة الحق فى فرضية العشاء وإن لم تغب الشفق" على هذا التقسيم ومناقشته له.
والمرجانى: هو شهاب الدين المرجانى بن بهاء الدين المرجانى، توفى سنة ١٣٠٦هـ، وكتابه مطبوع فى قزان سنة ١٢٨٧هـ. (انظر "حسن التقاضى" ص١١٥-١١٦)

أبو حنيفة، وإن خالفوه فى بعض أحكام الفروع لكنهم يقلدونه فى قواعد الأصول.

٣- طبقة المجتهدين فى المسائل التى لا رواية فيها عن صاحب المذهب كالخصاف[١]، وأبى جعفر الطحاوى[٢]، وأبى الحسن الكرخى[٣]، وشمس الأئمة الحلوانى، وشمس الأئمة السرخسى.

٤- طبقة أصحاب التخريج من المقلّدين كالرازى[٤] وأضرابه، فإنهم لا يقدرون على الاجتهاد أصلا.

٥- طبقة أصحاب الترجيح من المقلّدين كأبى الحسين القدورى[٥]، وصاحب "الهداية" المرغينانى وأمثالهم.

٦- طبقة المقلّدين القادرين على التمييز بين الأقوى والقوى والضعيف، وظاهر المذهب وظاهر الرواية والرواية النادرة، كأصحاب المتون المعتبرة من المتأخرين كصاحب "الكنز"[٦]، وصاحب "المختار"، وصاحب "الوقاية"[٧]، وصاحب "المجمع"[٨]، وشأنهم أن لا ينقلوا فى

---

(١) أحمد بن عمرو، وقيل: ابن مهير الخصاف، وذكره صاحب "الفوائد" باسم أحمد بن عمر ابن مهير الخصاف، مات سنة ٢٦١هـ. (انظر قطلوبغا: تاج التراجم ص٧، الفوائد البهية ص٢٩)

(٢) أبو جعفر الطحاوى: أحمد بن محمد بن سلامة، تلمذ على المزنى تلميذ الشافعى، ثم ترك مذهبه، وصار حنفى المذهب، وهو أول من جمع مختصراً فى الفقه. (انظر تاج التراجم ص٨، الفوائد البهية ص٣١-٣٤، مقدمة مختصر الطحاوى لأبى الوفاء الأفغانى)

(٣) أبو الحسن الكرخى: عبيد الله بن الحسن الكرخى، توفى سنة ٣٤٠هـ. (انظر تاج التراجم ص٣٩، الفوائد البهية ص١٠٨-١٠٩)

(٤) الرازى: أحمد بن على أبو بكر الرازى الجصاص، انتهت إليه رئاسة الحنفية فى عصره، له كتاب "أحكام القرآن"، و"شرح مختصر الكرخى"، و"شرح مختصر الطحاوى"، مات سنة ٣٧٠هـ. (تاج التراجم ص٦، الفوائد البهية ص٢٧-٢٨)

(٥) أبو الحسين القدورى: أحمد بن محمد بن أحمد، صاحب "مختصر القدورى" الشهير بـ"الكتاب"، توفى سنة ٤٢٨. (تاج التراجم ص٧، الفوائد البهية ص٣٠-٣١)

(٦) صاحب "الكنز" -كنز الدقائق-: عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات حافظ الدين النسفى، عده بعضهم من المجتهدين فى المذهب، وقال: إنه اختتم به، ولم يوجد بعده مجتهد فى المذهب، توفى سنة ٧١٠هـ. (انظر "الفوائد البهية" ص١٠١-١٠٢، و"تاج التراجم" ص٣٠)

(٧) صاحب "الوقاية": محمود بن أحمد بن عبيد الله تاج الشريعة المحبوبى، مؤلف "الوقاية مختصر الهداية". (الفوائد البهية ص٢٠٨٧)

(٨) صاحب "المجمع" -مجمع البحرين-: أحمد بن على بن ثعلب مظفر الدين المعروف بـ"ابن الساعاتى"،

كتبهم الأقوال المردودة والروايات الضعيفة.

٧- طبقة المقلّدين الذين لا يقدرون على ما ذكر، ولا يفرقون بين الغثّ والسمين[١].

ولقد ناقش بعض كبار علماء الحنفية المتأخرين كالشهاب المرجانى، والكوثرى هذا التقسيم، ولعل من خير من حدد نقطة الخلاف الشيخ اللكنوى حيث يقول: وليعلم أن هذه القسمة مسبعة كانت أم مخمسة[٢]، وإن كانت صحيحةً، لكن فى اندراج الفقهاء المذكورين الذين أدرجهم أصحاب التقسيمات بحسب زعمهم فى كل قسم تحت ذلك القسم نظر من وجوه[٣]، فالتقسيم فى حد ذاته كقاعدة عامة مقبول لدى الفقهاء الحنفية، والاعتراض منصب على انطباق القاعدة والتقسيمات على الأفراد المدرجين فى كل طبقة أو عدم انطباقها.

وبغضّ النظر عن ما يدور من نقاش حول هذا التقسيم، فإنه ولا شك يشكل قاعدة قوية للاستئناس بها فى تحديد أطوار ومراحل نمو الفقه الحنفى، واصطلاح "المذهب" فيه، ومن ثم يمكن القول بأن المذهب الحنفى فى تطوره مر على ثلاثة مراحل أو أدوار:

المرحلة الأولى: دور النشوء والتكوين:

وهو دور التأسيس، ووضع قواعد المذهب وأصوله الفقهية على يد مؤسسه وتلاميذه المقربين، ويتوافق هذا الدور مع الطبقة الأولى والثانية من طبقات الفقهاء -حسب توزيع ابن الكمال- طبقة المجتهدين فى الشرع وطبقة المجتهدين فى المذهب، وهو من ناحية أخرى يمثل "طبقة السلف" من فقهاء الحنفية على التقسيم الآخر، ومن ثم يمكن القول بأن هذا الدور يبدأ من عهد الإمام أبى حنيفة، وينتهى بموت آخر الأربعة الكبار[٤] من تلاميذه، وهو الحسن بن

و"مجمع البحرين": جمع فيه بين مختصر القدورى ومنظومة النسفى مع زوائد لطيفة، توفى سنة ٦٩٤هـ، وقيل: ٦٨٣هـ.

(١) التميمى: الطبقات السنية جـ١ ص٤٠-٤٢ بتصرف.

(٢) يشير بذلك إلى تقسيم الكفوى الفقهاء إلى خمس طبقات فقط، وهى الخمسة الأولى. (انظر مقدمة عمدة الرعاية ص٧-٨)

(٣) عمدة الرعاية ص٧-٨، وقد ناقش الكوثرى فى كتابه "حسن التقاضى" ص٢٩-٣٢ هذا التقسيم ورده، ثم عقب على ذلك بذكر تعقيب الإمام المرجانى على هذا التقسيم فى كتابه "ناظورة الحق". (انظر حسن التقاضى ص١٠٢-١١٦)

(٤) تلمّذ على الإمام أبى حنيفة الكثيرون، وقد نال أربعة منهم شهرة أكثر من غيرهم، وهم أبو يوسف القاضى، محمد بن الحسن، زفر بن الهذيل، والحسن بن زياد اللؤلؤى.